@ 427 @ ^ (ربي إنهن أضللن كثيرا من الناس) ^ أي : ضلوا بسببها ، ! 2 2 ! على ما جئت به من التوحيد والإخلاص رب العالمين ! 2 2 ! لتمام الموافقة ومن أحب قوما واتبعهم ، التحق بهم . ! 2 2 ! وهذا من شفقة الخليل ، عليه الصلاة والسلام حيث دعا للعاصين بالمغفرة والرحمة من ا ، وا تبارك وتعالى ، أرحم منه بعباده ، لا يعذب إلا من تمرد عليه . ! 2 2 ! وذلك أنه أتى ب (هاجر) أم إسماعيل وبابنها إسماعيل ، عليه الصلاة والسلام ، وهو في الرضاع ، من الشام ، حتى وضعهما في مكة ، وهي إذ ذاك ليس فيها سكن ، ولا داع ، ولا مجيب ، فلما وضعهما ، دعا ربه بهذا الدعاء ، فقال متضرعا متوكلا على ربه : 2 ! 2 ! أي : لا كل ذريتي ، لأن إسحق في الشام ، وباقي بنيه كذلك ، وإنما أسكن في مكة ، إسماعيل وذريته ، وقوله : ! 2 2 ! أي : لأن أرض مكة لم يكن فيها ماء . ! 2 2 ! أي : اجعلهم موحدين مقيمين الصلاة ، لأن إقامة الصلاة من أخص وأفضل العبادات الدينية ، فمن أقامها ، كان مقيما لدينه ، ! 2 2 ! أي : تحبهم ، وتحب الموضع الذي هم ساكنون فيه . فأجاب ا دعاءه ، فأخرج من ذرية إسماعيل ، محمدا صلى ا عليه وسلم ، حتى دعا ذريته إلى الدين الإسلامي ، وإلى ملة أبيهم إبراهيم ، فاستجابوا له وصاروا مقيمي الصلاة . وافترض ا حج هذا البيت ، الذي أسكن به ذرية إبراهيم ، وجعل فيه سرا عجيبا ، جاذبا للقلوب ، فهي تحجه ، ولا تقضي منه وطرا على الدوام ، بل كلما أكثر العبد التردد إليه ، ازداد شوقه ، وعظم ولعه وتوقه ، وهذا سر إضافته تعالى إلى نفسه المقدسة . ! 2 2 ! فأجاب ا دعاءه ، فصار يجبى إليه ، ثمرات كل شيء ، فإنك ترى مكة المشرفة كل وقت ، والثمار فيها متوفرة ، والأرزاق تتوالى إليها من كل جانب . ! 2 2 ! أي : أنت أعلم بنا منا ، فنسألك من تدبيرك وتربيتك لنا ، أن تيسر لنا من الأمور التي نعلمها ، والتي لا نعلمها ، ما هو مقتضى علمك ورحمتك ، ^ (وما يخفى على ا من شيء في الأرض ولا في السماء) ^ ومن ذلك هذا الدعاء الذي لم يقصد به الخليل إلا الخير ، وكثرة الشكر رب العالمين . ! 22 ! فذلك من أكبر النعم ، وكونه على الكبر ، في حال الإياس من الأولاد ، نعمة أخرى ، وكونهم أنبياء صالحين ، أجل وأفضل ، ! 2 2 ! أي : لقريب الإجابة ، ممن دعاه ، وقد دعوته ، ولم يخيب رجائي ، ثم دعا لنفسه ولذريته . فقال : ! 2 2 ! ، فاستجاب ا له في ذلك كله ، إلا أن دعاءه لأبيه ، إنما كان من موعدة وعده إياه ، فلما تبين له أنه عدو ، تبرأ منه . ^ (ولا تحسبن ا غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار * مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هوآء) ^ ثم قال تعالى : ! 2 2 ! إلى ! 2

2 ! . هذا وعيد شديد للظالمين ، وتسلية للمظلومين . يقول تعالى : ! 2 2 ! حيث أمهلهم وأدر عليهم الأرزاق ، وتركهم يتقلبون في البلاد ، آمنين مطمئنين ، فليس في هذا ما يدل على حسن حالهم ، فإن ا يملي للظالم ويمهله ، ليزداد إثما ، حتى إذا أخذه ، لم يفلته ^ (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد) ^ ، والظلم ههنا يشمل الظلم فيما بين العبد وربه ، وظلمه لعباد ا ، ! 2 2 ! أي : لا تطرف من شدة ما ترى ، من الأهوال وما أزعجها من القلاقل . ! 2 2 ! أي : مسرعين إلى إجابة الداعي حين يدعوهم إلى الحضور بين يدي ا للحساب ، لا امتناع لهم ولا محيص ، ولا ملجأ ، ! 2 2 ! أي : رافعيها قد غلت أيديهم إلى الأذقان ، فارتفعت لذلك ، رؤوسهم ، ! 2 2 ! أي : أفئدتهم فارغة من قلوبهم ، قد صعدت إلى الحناجر ، لكنها مملوءة من كل هم وغم ، وحزن وقلق . ^ (وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنآ أخرنآ إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال * وسكنتم في مس كن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال * وقد مكروا مكرهم وعند ا مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) ^ يقول تعالى لنبيه محمد صلى ا عليه وسلم : ! 2 2 ! أي : صف لهم تلك الحال ، وحذرهم من الأعمال الموجبة للعذاب ، الذي حين يأتي في شدائده وقلاقله ، ! 2 2 ! بالكفر والتكذيب ، وأنواع المعاصي ، نادمين على ما فعلوا ، سائلين للرجعة في غير وقتها ، ! 2 2 ! أي : ردنا إلى الدنيا ، فإنا قد أبصرنا ، ! 2 ! 2 وا يدعو إلى دار السلام ! 2 2 ! وهذا كله ، لأمل التخلص من العذاب الأليم ، وإلا فهم كذبة في هذا الوعد ! 2 2 ! . ولهذا يوبخون ويقال لهم : ^ (أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال) ^ عن الدنيا ، وانتقال إلى الآخرة ، فها قد تبين لكم حنثكم في إقسامكم